

مهمتنا النضال لانقاذ أهداف العرب من الايدي المأجورة

تمر على الشعب في هذه الآونة^(١) حوادث سياسية تضطره الى ان يزداد واقعية ويزداد يقظة وحذراً من الاستسلام الى الاحلام المريحة . وهو يقترب يوماً بعد يوم نتيجة لهذه الحوادث التي تمر عليه من مجابهة الحقائق القاسية والتعرف على مشاكله وأدراك مدى صعوبتها وعمقها، وبالتالي يقترب من معرفة الحلول التي يمكن ان تنجح . وهذه الحلول لن تكون ناجحة شافية اذا لم تكن بدرجة عمق واتساع وخطورة المشاكل نفسها .

البعث العربي أمل الامة

هذا بوجه عام ، اما فيما يخص موقف حزب البعث العربي من هذه الحوادث والاضطرابات فمهما يكن رأيه واجتهاده وتحليله ، والموقف الذي يتخذه منها ، فهناك حقيقة لاغنى للحزب عن ان يدركها ويتمسك بها على انها الحقيقة القوية الثابتة التي هي مقياس كل الحقائق الاخرى والتي يجب ان تكون مرجعه في كل شيء . هذه الحقيقة هي ان حزب البعث العربي الصخرة المتينة الوحيدة في وسط هذا البحر الهائج او هذه الرمال الواهية المضطربة ، وانه بقدر ما يحتفظ بمكانته وتماسكه وفعاليته وقدرته على ادراك الحوادث والتأثير فيها ، يستطيع ان يضمن للبلاد املا حقيقيا بالتدرج نحو الخلاص . فكل شيء ما عدا هذا الحزب بفكرته وبأشخاصه العاملين حسب هذه الفكرة نستطيع ان نحكم عليه بالعقم والبطلان والكساد . فاذا كان في البلاد نقطة ارتكاز مهما تكن صغيرة ، شريطة ان تكون حية متينة قابلة للنمو عندها لا يبقى اي مبرر

(١) حديث القي على الطلبة الجامعيين ، ونشر في جريدة «البعث» ، العدد ٣٣٦ .

للأأس والتخاذل . فاذا جاءت الاحداث على احسن ما يتوقع المخلصون ملائمة للمصلحة العامة وموافقة للرغبات ، ولم تكن في البلاد قوة واعية مضمونة الاخلاص قد توفرت لها الشروط للعمل ، ما قيمة هذه الاحداث اذا جاءت على هذا النحو ما دامت الفرص ستذهب سدى ولن يستفاد منها كقوة تستخدم لمصلحة البلاد وخيرها .

واجبات أعضاء البعث العربي

فاذا كانت هذه الحقيقة واضحة في اذهاننا راسخة في نفوسنا ، وأيقنا بعد شتى التجارب ان هذا الحزب هو الامل الوحيد وانه قد يكون مهدداً بالضياع اذا قصر اعضاؤه في مهمتهم ولم يؤدوا الواجبات المترتبة عليهم ليكونوا في مستوى حزبهم ، اذا أيقنا ان الاحداث الخارجية لا قيمة لها الا اذا ضمنت القوة الداخلية لان هذه الاحداث منفعة تنتظر قوة تسيّرهما لمصلحة البلاد . اذا أيقنتم من كل هذا ومن انه لا يوجد من يستطيع أيجاد هذه القوة غير هذا الحزب عندها تخرجون من عداد الاكثرية الساحقة التي تنظر الى الحوادث نظرة رعب وخوف وجهل ، او تهاؤل في غير محله وتنشأ في نفوسكم هذه القوة الخارقة التي تضمن الاستقرار النفسي الذي تنطلقون منه للقيام بواجباتكم .

فلا مجال اذا للرعب والذعر والتساؤل المتلهف عن اسباب الاحداث المتعاقبة واسرارها وغوامضها . فعليكم ان تقوموا اولا بواجبكم وبعد ذلك تكون لاسئلتكم معنى وفائدة ، اما اذا اهملتم هذا الواجب فان الاسئلة والتساؤلات والغيرة المذعورة على الحزب وعلى سلامة البلاد لاتعدو ان تكون نوعا من الهيجان المؤقت او ضربا من التلهي الفكري لمعرفة الاسباب والنتائج معرفة حيادية متفرجة لا دخل لها في العمل ولا اشتراك لها فيه .

الآن بعد ان بينت لكم بأن الاساس دائما في هذا الطرف وكل ظرف هو ان نقوم نحن بواجبنا ومهمتنا ، وهي ان نحقق هذه الحركة التي صممنا على أيجادها والتي عرفنا انها تلبى الحاجات العميقة في امتنا . الآن نستطيع ان نلقي نظرة على ما يجري خارج الحزب ونقف الموقف المناسب ونكون مطمئنين الى ان تفكيرنا سيكون دائما مجددا نافعا للبلاد وان موقفنا سيكون صائبا .

أهداف العرب في أيدٍ ماجورة

لقد اتضح في هذه الآونة أكثر من أي وقت مضى بأن الاهداف القومية المقدسة، اهداف العرب التي يجب ان تنبعث في صميم كل عربي وتكون مدار حياته ونقطة التجمع والتركز لجميع جهود العرب - لقد اتضح بأن هذه الاهداف قد تناولتها الايدي المأجورة المحترفة وشوهتها وجزأتها، وجعلتها ذرائع لغير المقاصد الحقيقية منها وشعارات لمصالح ليست غربية عن البلاد فحسب بل معادية لها، ولم يعد النزاع اليوم بين العرب، كما كان قبل حين، بينهم وبين الاستعمار على حقهم في الحرية والسيادة وانما انتقل النزاع الى مرحلة اخطر، وارتدى ثوبا مموها فصار النزاع بينهم وبين بعضهم، أي ان قسما منهم او اقساما قد تبناوا المصالح الاستعمارية والبسوها باسماء قومية - وهكذا اصبح النزاع في الظاهر على الاهداف القومية التي تخفي وراءها مصالح ومآرب عدوانية. كنا نحارب الافرنسيين لانهم احتلوا البلاد وكنا نعرف ان العرب يحاربون الانكليز للسبب نفسه، فالمعارك مستمرة بين طرف وطني وطرف اجنبي لا لبس فيها ولا خفاء. اما الآن فالنزاع على الوحدة والاتحاد وعلى الجمهورية والديمقراطية وعلى الحرية والسيادة بين العرب انفسهم، او بكلمة اصح واكثر انصافا يجري النزاع على يدي فئات محترفة باعت نفوسها وضمايرها للاجنبي، وهناك من يريد تحقيق المصالح الاستعمارية عن طريق الدعوة للوحدة والجمهورية والحرية، وهناك حكومات عربية ملكية تناصر الجمهورية في سوريا واخرى تستسلم للاجنبي ولكنها تدعي انها تحمل لواء الوحدة والاتحاد. فعلينا ان نترفع عن هذه المنازعات التي لاتمت الى حقيقة القضية القومية بصلة، وان سميت بأسمها وأتخذت لها ألفاظا عربية وتسميات اشتقت من الاهداف القومية، ولكنها في الواقع اجنبية.

علينا ان ننظر الى هذه الامور من عل، وان ندرك ما فيها من خطأ وتضليل، وان نفهم حقيقة هذه المنازعات وان نفهمها للشعب حتى لا يذهب ضحية منازعات لاتعبر عن مشاكله الحقيقية.

هدفنا الوحدة والحرية والاشتراكية

لقد عمل البعث العربي منذ نشوئه على الدعوة والعمل للاهداف العربية

الصحيحة وكثيراً ما لخصها في ثلاثة: الوحدة والحرية والاشتراكية، وكثيراً ما دخل المعارك الانتخابية وشعاره فيها هو العمل لهذه الاهداف الثلاثة. والبعث العربي قد ادرك حقيقة الاهداف القومية عندما جمعها في هذه المبادئ وادرك انها تشكل وحدة تامة. فالعمل للوحدة امر ضروري طبيعي بالنسبة للعرب لضمان مستقبلهم، كذلك العمل في سبيل الحرية ايضاً، اذ ما قيمة الوحدة اذا لم تكن تضم شعباً حراً واعياً لحقوقه قادراً على ممارستها... والمبدأ الثالث الاشتراكية وهو ان يكون في هذه الوحدة شعب حر منتج قادر على الحياة، وتكون لافراده فرص متكافئة فتظهر قواه وامكانياته دون عرقلة مصطنعة تفرضها طبقة على اخرى او استثمار داخلي. عندها يعطي العرب طاقتهم القصوى ويكون مجتمعهم قادراً على البقاء والدفاع عن نفسه.

لاتعارض بين أهدافنا

اننا عندما نتصور حاجة العرب المتساوية الى هذه الغايات الثلاث: الوحدة والحرية والاشتراكية، ندرك بأن هذه الاهداف تتعاون دون ان تتعارض، وتتسجم موحدة، كل منها يساعد الآخر ويمهد له. غير انها اصبحت مجزأة متناحرة على ايدي الفئات السياسية المشبوهة في اخلاصها وفي صلاتها. فالذين يدعون للوحدة يحاربون الحرية والاشتراكية، والعكس صحيح ايضاً - فكيف يمكن ان يكون بين اهداف قومية واحدة متممة لبعضها مثل هذا الانقسام والتعارض؟ والاصح هو في ان نقول: ان التعارض هو في الفئات المأجورة لا في الاهداف القومية.

البعث العربي لا يستطيع ان ينظر الى الامور نظرة سطحية تقليدية مقتبسة من عالم السياسة المملوء بالغش والاصطلاحات المصطنعة والارتجال، لانه يستمد احكامه من اخلاصه وتجاوبه مع مصير الامة، لذلك لن يكون له هذا الموقف السطحي الطائش المشوه الذي يقفه الآخرون الذين هم تارة يحاربون هدفاً بحجة الانتصار لهدف آخر، وتارة يتذرعون بهدف ليحطموا آخر، وهكذا...

موقفنا من الجامعة العربية

تذكروا ان حزبنا وقف من الجامعة العربية موقفاً سلبياً حذراً منذ تأسيسها فأصدرنا البيانات والمقالات نحذر فيها الشعب العربي من خديعة جامعة الدول التي شكلت

لتحول دون الجمع بين العرب ولتلهيهم بجمع كاذب عن حاجتهم الى الوحدة الحقيقية، ولكي تخدروهم وتبث بينهم الفوارق والتجزئة وتحول دون اي تعاون حقيقي تفرضه مصلحتهم وظروفهم القاهرة.

لقد كانت نظرتنا منذ البدء ان الجامعة العربية هي جامعة حكومات اقطاعية فهي تمثل خطرين كبيرين: خطر الاستعمار الخارجي وخطر الاقطاعية الداخلية، والعرب لايشكون الا من هذين الدائين.

فاذا وصلت البلاد الى هذه الحالة المؤلمة من تشتت اهداف العرب القومية تتناهبها الدول الاستعمارية فليس ثمة ما يدعو الى التشاؤم والهلع، بل يجب ان نرى في ذلك سبيلا الى تصفية الميدان السياسي من كثيرين من الخداعين الذين كانوا يموهون ويضللون، والى ان نكتشف حقيقة الاغراض التي كانت تحرك السياسيين لنخدروهم ونحذر الشعب منهم، فلا نكون اداة مسخرة لمنازعات مأجورة لخارج البلاد ولآرب غير وطنية.

المهمة الملقة على عاتقنا

ان ما يجب ان يبقى في اذهانكم هو اولا: ان ما يجب ان يعول عليه ليس مشاهدة الحوادث او البحث في اسبابها ونتائجها، وانما المعول عليه ان توجد في البلاد حركة نقية واعية فعالة تستطيع ان تؤثر في الحوادث وان تحولها الى الطريق الذي يعود بالخير على البلاد. فمرجع كل شيء هو حزب البعث العربي، ومهما تعاقب على بلادنا من احداث وعواصف أشد من التي جرت فلا مجال للدعر لان هذه النواة ستنمو وتتغلب على الانواء.

اما الفكرة الثانية فهي ان ننظر دوما الى حقيقة اهدافنا ونستمد ذلك من تفكيرنا لا من الصحف والسياسيين المحترفين، فأهدافنا القومية موحدة منسجمة لا تناقض بينها، وعلينا ان نرسم الخطة القومية لهذه الاهداف مهما كانت الصعوبات - انها الوحدة والحرية والاشتراكية. فالوحدة التي تتعارض مع الحرية هي وحدة كاذبة، والحرية التي تتعارض مع الاشتراكية والوحدة هي كاذبة ايضا، واذا كان هناك من

يستغل ذلك ليقدم طريقا مضللة كاذبة فمن واجبنا ان نحذر الشعب كيلا يسلك سبيل
الخداع بل الطرق الصحيحة .

ميشيل عفلق

٢٩ كانون الاول ١٩٤٩